الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

دروس عبر الخط

منهجية وتقنية البحث التاريخي(إعداد مذكرة)

موجه للسنة الثانية ماستر- تاريخ المغرب العربي المعاصر- السداسي الثالث

تقديم: د. بكاري عبد القادر

السنة الجامعية: 2024-2025

المحور الأول: التعامل مع المادة التاريخية(ضبط الخطة والتعرف على المصادر)

مقدمة: تعتمد البحوث العلمية الاكاديمية على التخطيط العام والمبدئي ، اذ يرسم الباحث الهيكل العام لبحثه، ويحدد معالمه، ويضع اطره، وهو يعتبر كخارطة لبناء البحث سواء بسواء، وهذه العملية لا تقوم على التخمين والخبرة والاحساس الداخلي للموضوع، بل هي عملية منتظمة هادفة وصارمة، تضم عددا من الخطوات المتتابعة والمتسلسلة. أولا: ضبط الخطة:

ويطلق عليها أحيانا (مبيضة البحث) أو كتابة (تقرير البحث) وهو مرحلة مهمة من مراحل إنجاز البحث، إذ يقوم الباحث في مراجعة وافية ودقيقة لمسودات البحث التي جمع معلوماتها ودونها، وقد تكون معززة بالأشكال والنماذج والصور، ويسير في عرض معلوماته على وفق (خطة البحث) التي شكلّها بعد الاستطلاع وفرض الفروض او التساؤلات، و قد يحصل تعديل أو حذف أو إضافة في جانب مفردات البحث وموضوعاته، وينظر الى ذلك في التأكد من دقة أو سلامة الموضوعات من اربعة جوانب أساسية هي :

- علميا وموضوعيا، أي استخدام المصطلحات والمفردات العلمية في مجال الاختصاص والموضوع قيد البحث، والاستعانة بالفروض والنظريات والأحكام العلمية السابقة.
- لغوياً، أي دقة الأسلوب والاستعمالات اللغوية والتعبيرية، وسلامة اللغة في النحو والصرف، مع الابتعاد عن اللغة الخطابية، والتكبير والتهويل في وصف عناصر الظاهرة.
- شكليا وفنياً، أي من حيث شكل المادة، نوعية الخطوط، الإشارات، علامات (الفوارز) الترقيم، التخطيط، الإشكال، الجداول.
- سلامة التسلسل المنهجي للبحث، الفصول والمباحث، الأهداف والتفسير، وضع الجداول والمصادر وغيرها والتي تتعلق بالمنهج المناسب للمشكلة الخاصة بالموضوع.

والبحث الأولي أو(الرسالة الجامعية) يجب أن تبوب تبويباً منتظماً، وتقسم بشكل علمي ومنطقي مقبول وواضح، لذا يرى علماء المناهج أنه يمكن تقسيم البحث الى أقسام مختلفة ليصبح بشكل يمكن قراءته والافادة منه، هذه الاقسام هي:

1-المعلومات التمهيدية (الصفحات الاولى). 2-المتن أو النص(text)

وهو صميم المادة ويضم الفصول التي عادة ما تكون أكثر من فصلين، وهي الاطارين النظري والميداني، حيث يعد هذا الجزء الأكبر والاوسع من البحث، وحصيلة جهد الباحث في جمع المعلومات من مصادرها واستخدامه للأدوات، ويشمل هذا الجزء ما يلي: أ - المقدمة(Introduction) أو ما يصطلح عليها بمقدمة منهجية او الاطار المنهجي، وتعالج ما يأتي:- الدوافع التي دفعت الباحث الى اختيار الموضوع، اعتباراً من الإحساس بالمشكلة وحتى بلورتها.

- الخطوات العامة لمشكلة البحث والجوانب العلمية والموضوعية ومدى اهمية وجدوى المشكلة للمجتمع والاختصاص، كما تتضمن الاهداف والتساؤلات التي سيجيب او يتوصل لها البحث.
- فرضيات البحث وحدوده الزمنية والمكانية والبشرية، إضافة الى الجوانب المنهجية الأخرى المتعلقة بضوابط بناء الأداة.

-طريقة البحث ومنهجيته، والمصادر والمعلومات التي سيتم الاستناد عليها.
-الصعوبات والمعوقات التي صادفت الباحث في خوضه غمار المشكلة. -التعريف ببعض المصطلحات على ضوء المعنى القياسي الاجرائي (Key Terms) -نظرة عامة الى بعض النتائج والتوصيات التي خرج بها الباحث.

وقد يشمل الباحث في مقدمته هذه العناصر او يقتصرها على البعض، او يزيد تبعا لموضوعه والجهة المشرفة عليه، وفي تصاميم بحثية أخرى تأخذ متعلقات هذه الإجراءات فصلا كاملا، وهذا في جوهره تصنيف أو تقسيم منهجية البحث إلى جزئيين ،الأول، يسلط الضوء على المشكلة وأهميتها ومدى الحاجة لها وأهدافها، فضلاً على مجالات حدود البحث والتعريف بالمصطلحات(*) الواردة في متن البحث، والثاني يضم الاجراءات (وصف مجتمع البحث، والعينة، والاداة، وربما المنهج المتبع. ب -

الأبواب، الفصول، المباحث ، المطالب

قد يعمد الباحث إلى تقسم بحثه إلى جزئين أو ثلاثة رئيسية، تسمى الأبواب، وهي أكبر وأوسع، وتستخدم في البحوث والمؤلفات الضخمة، كأطروحات الدكتوراه والدراسات الميدانية الشاملة، ولكن الأغلب في بحوث الدراسات العليا والأولية أن تقسم البحوث إلى فصول، حيث يغطي كل فصل جانباً من جوانب الموضوع على وفق تسلسل المعلومات وتناسب الأفكار في سياق منطقي وعقلاني مفهوم وواضح، تتوزع عليها المعلومات ضمن الفصل الواحد. والفصول تقسم الى مباحث ، كل مبحث يغطي جزء او قضية ضمن الفصل، وقد يقسم المبحث الى مطالب واقسام او عناوين فرعية، وهذا يسير في جميع أنواع البحوث العلمية. جـ- استخدام الجداول في متن البحث: غالباً ما يستخدم الباحث دلالات وصفية لترميز بياناته كالأشكال والصور والجداول وغيرها، ولا يكاد يخلو بحثاً علمياً من استخدام جدول او جدولين على الأقل، ليس بالضرورة ان يكون إحصائياً او رياضياً ،إنما في الاقل قد يصف مجتمع بحثه او عينته، او يستعرض مقارنة او مفاضلة لحقبة زمنية او منطقة جغرافية، والجدول أساسي في المناقشة والتفسير، لأنه عماد عرض الأدلة والنتائج التي تم التوصل لها، وتنقسم الجداول بشكل عام إلى : جداول بسيطة وجداول مزدوجة. د- – المصادر

والمراجع Références : تشمل الكتب المتخصصة، والمقالات المنشورة في أوعية المعلومات المكتوبة كالدوريات، الصحف والمجلات وغيرها، إضافة إلى التقارير والمراجع، والمواد المطبوعة والمسموعة، وأحاديث المقابلات الشخصية والمحاضرات والندوات والانترنت. ويفضل الاعتماد على المصادر بالدرجة الاولى، وان تعذر الامر يرجع الباحث الى المراجع، وربما الى الدوريات والصحف، وكل ما يشكل ساحةً للمعلومات، بشرط ان تحمل المعلومات رصانة علمية يعول عليها في وزن الامور والمساعدة في التحليل.

وهنا لابد من توضيح نقطة مهمة تتعلق في الاشارة الى المراجع في مساحة الهوامش(**)او الحواشي واختلافها في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث في التعامل مع صيغة التوثيق والإسناد، لان الغرض من الهامش هو إعلام القارئ بمصدر او صاحب الفكرة أو الرأي. هـ

– الملاحق: يصادف الباحث بعض الأحيان الكشف عن بعض المعلومات والبيانات التي لها علاقة بالموضوع، لكنها ليست ضرورية لتضمينها في متن البحث، لتحاشي قطع انسجام الموضوع وتسلسله فيلجأ الباحثون لوضعها في نهاية البحث وعدها جزءا او ملحقا له، وعادة ما ترقم حسب الإشارة أليها في المتن ،مثل (انظر الملحق رقم كذا) (وكما هو موضح في ملحق رقم كذا) ولا توجد قاعدة عامة عما يمكن ان تشمله الملاحق، ولكن عادة ما تتضمن صورة الاستبانة او الاختبار او صور فوتوغرافية، أو خرائط، بعض الجداول ،إحصاءات خاصة، مراسلات، مخطوطات، إضافات أخرى، ويجب ان تثبت مصادر هذه الملاحق بشكل واضح ودقيق وترقم بحسب ما جاءت به من تسلسل في صفحات المتن ،كما ومن المفضل ان ترافقها معلومات مختزله حول محتوى الملحق.

و- حجم البحث: ليس هناك تحديد قياسي لعدد صفحات البحث العلمي ،فحجمه كما أشار (مولي (Mouly يختلف بحسب طبيعة المشكلة وهدفها ونوعها ،فالبحوث التاريخية مثلاً تأخذ اكبر حجماً من البحوث التجريبية ،كما وان طبيعة مجتمع البحث وعينته وحدوده الجغرافية والزمنية لها دور مهم في هذا السياق ،إلا ان البحوث في الوقت الحاضر غالبا ما تميل إلى الاختزال والوضوح والتعبير الرقمي أجدى من التعبير الكلامي او الوصفي. ز_الاستنتاجات: هي

الاحكام والتصورات والارتباطات العلمية التي يثبتها الباحث بناءً على النتائج، ويستند في ذلك على الحقائق والتصنيفات والارقام التي توفرت له من خلال التحليل، وهنا يعمل على ربط الظاهرة قيد الدراسة بالمجتمع او مفردات الظاهرة الكلية(وبإمكانه ان يعمم استنتاجاته على المجتمع الاصل) باعتبار ان نتائجه قد اقتصرت على تحليل عينة ممثلة لهذا المجتمع، والتعميم في تلك الحالة هو الهدف الاساس من جهد الباحث، وكل بحث او نتيجة غير قابلة للتعميم، تبقى ذات قصور علمي او غير مجدي، وكل بحث علمي يجب أن يخرج بمجموعة محاور ونقاط متسلسلة على انها استنتاجات. ح – التوصيات: وهي

النقاط والجوانب التي يرى الباحث ضرورة لذكرها من خلال خوضه مشكلة البحث وتضلعه بها، وتعّدُ بمثابة (الضبط)(*)والغاية الاساسية لمفاتيح التغيير في الظاهرة المدروسة وغالباً ما تصاغ على وفق استنتاجات البحث ومن شروطها ان لا تكون بصيغة الزامية أوامر لجهات معينة، بل تكون بأسلوب المقترح، وان تستند كل توصية الى استنتاج، وان تكون معقولة وقابلة للتحقيق.

ملاحظة: قد يتبع البحث بملخص (Summary أو المستخلص(Abstract) وهو تقرير مختزل لما قام به الباحث اعتباراً من احساسه بالمشكلة وصولاً الى النتائج، وهناك فرق بينهما في أسلوب الكتابة وحجم ومحتوى كل منهما. فالملخص يتضمن موجزاً لأقسام البحث ووحداته الرئيسية في تتابع مختزل، يرى البعض انه لا يزيد على ثلاثمائة كلمة، أما المستخلص فانه يتضمن خلاصة شاملة للبحث بعد قراءته واستيعابه ككل، وهنالك من يضمنه بعد التوصيات، والبعض يجعله مقدمة عامة، وترقم الحالتان ابجدياً. ثانيا: التعرف على المصادر

تدخل ضمن المصادر كل المعلومات والحقائق التي تتصل بأي موضوع يخضع للدراسة والبحث، وقد اعتبر المفكر الانجليزي"كولنجوود" في كتابه:"فكرة التاريخ" أن أي شيء في العالم يمكن أن يغدو شاهدا على أية مسألة، يعتبر مصدرا تاريخيا،

فبدونه لا يمكن التوصل إلى استنتاجات أو أحكام، وبانعدامه لا يتأتى لنا رسم صورة للتطورات والأحداث الماضية، وهذا أيضا ما عبر عنه أسد رستم في كتابه" مصطلح التاريخ" بقوله:" إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها". وكلما تعددت المصادر المتاحة للمؤرخ وتنوعت، كلما كان أقدر على الإحاطة بالأحداث التاريخية المختلفة وتسجيلها، وبقدر ما تتسم به المعارف والمعلومات التي تحويها هذه المصادر من دقة تكون دقة الأخبار التي يسجلها المؤرخ، إذ تلك المعارف والمعلومات بمثابة المواد الأولية يستخلص المؤرخ منها الأخبار، ويضع تصانيفه التاريخية معتمدا على جزيئاتها.

1-المصادر التاريخية: تتنوع ما بين مصادر مادية وأخرى معنوية، يأتي في مقدمتها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والآثار، النقوش، الوثائق، المدونات، كتب التراجم والأنساب، دواوين الشعر، الخطب والرسائل، المشاهدات، المصنفات التاريخية التي صنفها المؤرخون القدامى إلى غير ذلك من المصادر التي لا غنى للمؤرخ عنها. وقد يستخدم المؤرخ جميع هذه المصادر، وقد يكتفي ببعضها، وربما تجاوزها إلى غيرها من المصادر الأخرى المتعددة، ويعتبر توسع المؤرخ في استخدامه للمصادر أو تضييقه إنما يرجع لطبيعة الموضوعات التي يؤرخ لها، أو لتعذر حصوله على بعضها، أو لاستغنائه عن بعضها نتيجة اعتماده على مصادر أخرى أكثر دقة في تسجيلها للأحداث إلى غير ذلك من الأمور.

وقد تكون المصادر مباشرة، وقد تكون غير مباشرة. يستخدم المؤرخ المصادر المباشرة عندما يتعامل معها في صورتها الأولى، مادة أولى يصوغ من خلالها أخباره. وفي بعض الأحايين قد تفتقر المصادر إلى عنصر المباشرة فتصل إلى المؤرخ عن طريق مصنف وسيط كان أسبق إلى استخدامها، ومن ثم فهي تنسب إليه بصورة أو بأخرى بجانب نسبتها إلى صاحبها الأصلي الذي حفظها في صورتها الأولى، وقد يتنقل الخبر عن طريق عدد من الرواة مما يوجد واسطة تتألف من عدد من الرجال بين ناقل الخبر إلى المؤرخ، وبين ناقله الأول الذي وضعه بين يدي المؤرخين مادة أولية يرجعون إليها عند الحاجة.

2-أنواع المصادر: تتنوع وتختلف، وهي

أ- المصنفات التاريخية: تعتبر مصدرا هاما للمعلومات والمعارف التاريخية، فهي معين لا ينضب ينهل منه المؤرخون في تأليفهم، وهي أشبه بصحف الأخبار يغترف منها الباحث أخبار عديدة، ومن ثم فإن على المؤرخ أن يعتمد على من سبقوه من المؤرخين، ويذكر المصنفون عادة في مقدمة تصانيفهم، التصانيف المهمة التي استقوا منها مادتهم التاريخية ضمن غيرها من المصادر، ومنها: مصنفات البلدان ككتاب تاريخ القيروان للصنهاجي، وكتب تاريخ الدول ككتاب مفرج الكروب في اخبار بني ايوب للقاضي جمال الدين بن واصل، وكتب الطبقات ككتاب وفيات الاعيان لبن خلكان.

ب- الوثائق: وهي الوثائق المدونة كالمناشير التي استخدمها المماليك لتدوين الاقطاعات والرسائل والمراسيم السلطانية، وهي الأوامر التي يصدرها السلطان.

جـ- المشاهدة: تضفي على النص التاريخي حيوية وحركة، وتُمكِن المؤرخ من الوقوف على الأحداث بجزيئاتها الدقيقة، وتلك خاصية تتميز بها المشاهدة عن غيرها من المصادر التاريخية، ولا ريب أن المشاهدة والرواية الشفوية يضفيان على النص

حيوية شديدة. وقد تتوفر للمؤرخ أقصى درجات المشاهدة وأعمقها، بما يصل بها إلى درجة المشاركة، والعلاقة بين المشاركة والمشاهدة هي علاقة العام والخاص، إذ كل مشاركة مشاهدة وليس العكس بصحيح، فقد يشاهد المؤرخ الأحداث دون أن يشارك فيها، أو يكون له تأثير في توجيهها. أما إذا شارك المؤرخ في الأحداث وساهم بدوره في توجيهها لزم عندئذ توفر عنصر المشاهدة.

د- الرواية الشفهية: عبارة عن عملية شفهية خالصة تتم بشكل مباشر بين الشاهد الذي هو المصدر الأول والأساسي للمعلومات وبين جامع المعلومات من الأفواه، وهو غالبا المؤرخ الذي يقوم بجمع المعلومات وتنسيقها والاعتماد عليها عند تاريخه للأحداث المتعلقة بهذه الروايات تختلف الرواية الشفهية عن غيرها من المصادر التاريخية الأخرى في كونها مصدرا رسميا، حيث تتخذ من السمع وسيلة للحصول عليها، ورغم أن هذا المصدر يعتبر في أصوله الأولى مصدرا بصريا سمعيا، مشاهد مسموعا، وذلك بالنسبة للراوي الذي يتخذ من السمع والبصر وسائل لجمع المعلومات والمعارف، إلا أنه يعتبر بالنسبة للمؤرخ مصدرا سمعيا فقط، ولذلك حرص بعض المؤرخين على إضفاء طابع توثيقي باستخدام عبارات تدل على الثقة بمصدر الخبر وهو رواية الذي رواه المؤرخ، وباستخدام عبارات مثل"أخبرني" و"من أثق به"و"حكى لي من أثق به"

ه-الشعر: الشعر مصدرا من مصادر التأريخ للأحداث القديمة وخاصة في تاريخ العرب قبل الإسلام، إذ الشعر ديوان العرب وفيه خبرهم وأخبار الدولة الإسلامية، وكان الشعر عاملا مساعدا في تقرير الحقائق التاريخية وإثباتها، على أن الاستشهاد بالشعر في إثبات الحقائق التاريخية يجب أن يكون في حالة الضرورة القصوى، لأن الشعر ليس مصدرا أساسيا للتاريخ.

و-القصص الأسطوري: يوجد أساطير في تاريخ كل امة مثل أساطير قدماء المصريين والفرس والهند واليونان والرومان والصقالبة ومن ثم كان على المؤرخ التعامل مع المصادر الأسطورية المتاحة لتغطية هذه الفترة من التاريخ القديم الذي يختلط فيه الخيال بالواقع، وتمتزج الأساطير بالحقائق التاريخية في الكثير من الأساطير. وبالرغم من أن هذه الأشكال من القصص ذات جذور تاريخية، إلا أن صلتها بالتاريخ بالمعنى المعروف للكلمة صلة بعيدة، أنها قصص مرسل مقطوع الصلة بالزمن، أو يحمل فكرة جد غامضة عنه ويقدم بروايات مسجلة هي بين الأسطورة والواقعة التاريخية، وما من شك في أن القصص يحمل الكثير من الحقائق التاريخية ولكن ما من شك في الوقت نفسه في أن الكثير من التحوير والزيادة قد دخل على أشكاله الأولى والتالية.

ومن المؤرخين الذين اعتمدوا على القصص الأسطوري مصدرا من مصادر في تاريخهم للأمم القديمة وتاريخ العرب القدامى، الطبري وابن كثير وابن الأثير وغيرهم كثير. على أن مهمة المؤرخ استخلاص الحقائق التاريخية من بين ركام الأساطير والأخبار مستحيلة الحدوث، ويلزم المؤرخ أن تتوافر له ملكة النقد، فلا يجوز أن يقبل كل كلام، أو يصدق كل وثيقة، أو مصدر بغير الدرس والفحص والاستقراء.

ز- الرحلة:

عرف التاريخ الإسلامي الكثير من المؤرخين الذين جابوا الأقاليم والبلدان ودونوا

مشاهداتهم في مصنفاتهم التاريخية والجغرافية المختلفة، ومن هؤلاء اليعقوبي(ت292هـ) الذي ألف كتاب في التاريخ منذ خلق آدم حتى زمن الخليفة المعتمد العباسي، والمسعودي(ت 346هـ) الذي صنف كتابه" مروج الذهب ومعادن الجوهر" أرخ فيه لبدء الخليقة حتى عصره، وابن بطوطة(ت 779هـ) الذي دون مشاهداته في كتابه الشهير" تحفة النظار" وغير هؤلاء كثيرون ممن اتخذوا من الرحلة مصدرا لمعارفهم التي دونوها في مصنفاتهم.
بالإضافة إلى أهم مصادر الخاصة بالكتابة التاريخية الإسلامية والمتمثلة في:
القرآن الكريم: تعرض القرآن الكريم لموضوعين رئيسيين يهمان المؤرخ، أولها يتعلق بأخبار الأمم الماضية وأحوالها، والرسل والرسالات وما حدث بينهم وبين قومهم من أحداث، وثانيهما، يتعلق بأخبار الرسالة المحمدية وما صاحبها من أحداث، ومما لا شك فيه أن آيات القرآن فتحت بابا من ابواب المعرفة دخل منه التاريخ، ودخل كرديف ديني شرعي لعمليات التفسير القرآني، ومنحت بذلك نظرة جديدة الى الماضي كرسته كأساس فكري للعقيدة. كما أفاض القرآن الكريم في الحديث عن الرسالة الإسلامية في مواضع عديدة، فمثلا يعطي صورة لقريش من الدعوة وتآمرها على النبي صلى الله عليه وسلم، وما تعرض له من إيذاء، ورصدت أحداث غزوة الأحزاب سورة نسبت إليها وسميت باسمها، وسورة آل عمران لأحداث غزوة أحد...

الحديث الشريف: لم يقصد النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه التأريخ، فهو نبي مرسل وليس مؤرخ، إلا انه تعرض في أحاديثه إلى أخبار الأنبياء والرسل والأمم الماضية منذ خلق آدم عليه السلام إلى عهده. فالإسلام ما هو إلا الحلقة الأخيرة من سلسلة الأديان على الأرض، وفي إطار هذا التواصل بين الإسلام وما سبقه من رسالات وردت الأحاديث بشأن الحقب القديمة، فضلا عن الحقبة الإسلامية وما واكبها من أحداث. كما ورد في السنة المطهرة قدر عظيم من التاريخ الاسلامي بأقسامه الثلاث: الماضي، الحاضر والمستقبل، وهو ما عبر عنه عبد الحليم عويس بقوله ان ثمة احاديث نبوية استشرفت المستقبل البعيد عند المعالجة لموضوع التفسير الاسلامي للتاريخ والذي اعطى دورا اساسيا عند رسم كل ابعاد الصور للتفسير الاسلامي للتاريخ. وبالإضافة الى ذلك هناك العديد من مصادر التاريخ الاسلامي منها كتب مصنفات الائمة الكبار كالذهبي وابن كثير وابن الاثير.....
ملاحظات: - قد يحصل المؤرخ على مصادر عن طريق وسيط وتسمى بـ"المصادر الوسيطة" وهي مصادر تفتقد إلى عنصر المباشرة، إذ يتم النقل عن مصدر نقل بدوره من المصدر الأصلي، وقد تتعدد مراحل النقل: من المصدر الأصلي إلى المصدر الوسيط، ومن المصدر الوسيط إلى المصنف موضوع الدراسة، ومن المصنف إلى مصنف آخر... وهذا ما جعل فقهاء ومؤرخي المدرسة الحديثة كابن حجر العسقلاني والسخاوي يرفضون النقل المفتقد لعنصر السماع المباشر، لأنه لا يخضع للجرح والتعديل للتثبت من صدق الروايات، وتحرزا من الوقوع في التحريف والسقط في الأخبار المنقولة، يقول فرانز روزنتال عن التاريخ الإسلامي أن أهمية أي تاريخ إسلامي كمصدر يقدرها قدمه وقربه من الحوادث التي يصفها.
- إن عملية الكتابة تقوم على المصادر، ولذلك اشترط على الباحث أن يتأكد من توافر مصادر كافية قبل الشروع في عملية البحث، وعلى الباحث أن يوثق معلوماته في

الهامش، لأن ذلك من قواعد المنهج العلمي في دراسة التاريخ وكتابته، والمؤلفات التاريخية التي لا تلتزم بالتوثيق لا يعتد بها

المحور الثاني: نقد المصادر والأصول التاريخية لإثبات صحتها

1-مقدمة: هناك حاجة ماسة لعلم التاريخ، إذ لا يكاد يستغني عنه أحد، والحاجات متنوعة بين دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية معرفية، وان التعامل مع المادة التاريخية وتحليل الاستدلالات التي تقود الى تحديد الموقف من الواقعة التاريخية يمثل اساس العملية النقدية. مع أن النقد العلمي حسب بعض العلماء المعاصرين هو "النقد الحق ولا غناء عنه في أي بحث أدبي، لأنه يبحث عن أصالة النص، وحقيقة وجوده، ودرجة الصدق فيه "وعليه، فالنقد هو البحث عن حقيقة الشيء من حيث كونه أصيلا أو زائفا، وهو بهذا المعنى العقلي تتمثل فيه الصفة العلمية، فتمييز جيد الكلام عن رديئه. وهو أيضا محاولة التعرف على مسلك الباحثين وخطتهم في تصحيح المعرفة النقلية، وتوثيق هذه المعرفة التي أسهمت في بناء المناهج العلمية، سواء ما اتصل بها بالتاريخ أو بالعلوم الأخرى. وليس الغرض من هذه العملية هو نقد المسالك والطرق التي قطعها الباحثون والعلماء، وإنما عرض لخطتهم وما وضعوه من أحكام وقواعد نقدية في مجال التطبيق.

2-تعريف النقد: مشتق من فعل-نقد-، ويقال نقدت الدراهم وانتقدتها، إذا اخرجت منها الزيف، ودرهم نقد: جيد لا زيف فيه. وفي روايةٍ أنّ ابا الدرداء، قال: إن نقدت الناس نقدوك، وان تركتهم تركوك، بمعنى عبتهم واغتبتهم. ونقد الشيء ينقده نقدا إذا نقره بأصبعه. اما المعنى الاصطلاحي، فهو دراسة الاعمال والكشف عما فيها من الجوانب القوة او الضعف، الجمال او القبح، ثم اصدار الاحكام النقدية عليها. وهي تطلق ايضا من باب المسبب على السبب، وان كانت الكلمة ذات دلالة حسية الا انها تطورت للمعنى النفسي بمعنى العقلي الذي يبحث في الشيء من حيث كونه اصيلا ام زائفا. أما عند نقاد الحديث فقد استعملوها بمعنى معرفة صحيح الخبر من زائفه الذي يدور حول الراوي والمروى، والذي اصبح يسمى بالجرح والتعديل أو نقد الرجال.

إذن فالنقد هو ممارسة فنية وعلمية منهجية ينتقل المؤرخ بموجبه من مرحلة القراءة والاقتباس الى مرحلة الفحص والتدقيق والتمحيص بغية الوصول الى الحقيقة التاريخية عبر سلسلة من الادوات التي تصبغ تاريخا من مادته وحقائقه، وهو ايضا عملية فكرية لتقويم النص وضبطه، وتقرير أصالته ومصداقيته وقبوله كحقيقة علمية.

3- النقد التاريخي عبر العصور: ان تطور الحياة الانسانية أدت الى إحداث ثورات فكرية وعلمية، وان قدرا كبيرا من التطور العلمي المعاصر اليوم يستند الى افكار القدامى، وقد وجدت اشارت عن ذلك منذ العهد اليوناني على لسان هيكاتيوس المالطي الذي عاش في القرن6 ق.م حينما قال"...لست أثبت هنا إلا الحكاية التي اعتقد بصحتها، فإن اساطير اليونان كثيرة وعندي حديث خرافة". أما علماء الحديث فقد تناولوا الروايات التاريخية من خلال الحفاظ على نصوصها من التصحف والتحريف أولا، ثم من خلال نقدها ونقد رُوَاتها الذين تناقلوا الاحاديث النبوية بالجرح والتعديل. أما ابن خلدون في العصر الوسيط فقد ذكر ابن خلدون ان على المؤرخ ان

يكون دائما حذرا عند نقله الأخبار، لأن مجال التشويه واسع، والنفس البشرية سهلة الانخداع. ولأن الغالبية تجهل أصول التحقيق التي تفرق بين المعقول وغير المعقول من الحوادث، فيجب الانطلاق من مبدأ الشك في الخبر والواقعة التاريخية التي تقوم على النقد والتفسير والتعليل ثم التركيب. ويمكن القول ان ابن خلدون هو الذي وضع الاسس الاساسية للنقد الخارجي، والذي سار عليه معظم المؤرخين الاوربيين في عصر النهضة وما بعدها، حيث تأسست المدارس النقدية(الوضعية، الحوليات، التاريخ الجديد) في الفترة المعاصرة.

4- نقد المادة العلمية: إن التاريخ يصنع من وثائق، والوثائق هي الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم، ولا بديل عن الوثائق، وحيث لا وثائق فلا تاريخ. وبكلمة أشمل، كل نص يحتوي على معلومات نشاط الإنسان في أي فترة من الفترات يشكل تاريخ، والتاريخ يحتاج إلى فحص وتدقيق عن طريق عمليات النقد.

إن الخطوة الأولى في المعرفة النقدية تبدأ بالشك في صحة ناقل هذه المعرفة، أو بالأحرى في صلاحيته للنقل، ثم في المعرفة ذاتها، وبعد الشك يأتي النقد متناولا الناقل والمنقول، وبتعبير آخر السند والمتن، ولما كانت مهمة النقد تقتصر على تصحيح النقل وتوثيقه سواء سنده أم متنه، فلا يمكن الحديث عن النقد منفصلا عن النقل، ومن ذلك يتكون المنهج في النقد التاريخي، أو ما اصطلح القدماء على تسميته بنقد الخبر. وقد لاحظ بعض المؤرخين المعاصرين تشابه المنهج الإسلامي ومنهج النقد التاريخي عند الأوربيين في كثير من القواعد والأصول، لأن المنهج الأوربي يقوم على تحليل المعرفة التاريخية وتركيبها، أي أنه يقوم بمرحلتين: التحليل ثم التركيب، والتحليل لا يتم إلا بعد القيام بمرحلتين نقديتين وهما: النقد الداخلي والنقد الباطني .

إن المناهج تختلف باختلاف العلوم، وعليه ليس ثمة منهج واحد للبحث في العلوم كلها، والواقع أن عدد المناهج لا يكاد ينحصر ، ففي داخل كل علم عدة مناهج، وقد حصرها العلماء في ثلاثة وهي: المنهج الاستدلالي، والمنهج التجريبي، والمنهج ألاسترادادي، وهو منهج العلوم التاريخية، الذي لا يمكن أن يتم إلا بخطوتين: الخطوة الأولى هي جمع الوثائق التي هي نقطة البدء، والخطوة الثانية هي النقد؟

والنقد نوعان : أ-النقد الخارجي(الظاهري)

يسمى أيضا بنقد الأصالة، أو بنقد التحصيل، أو النقد الفيلولوجي، أو بنقد التنقيب في إيجاد اصل الوثيقة، أي إرجاع الوثيقة إلى زمانها الحقيقي، يتضمن النقد الخارجي اثبات صحة الأصل التاريخي للوثيقة بتحديد مصدرها، ثم تقييم حالتها، وإدراك ما إذا كانت تامة، أولا بالكشف عن مواطن الزيف والنسخ، والعثور على الأخطاء الممكنة، وتصحيح الوثيقة، ونقد المصدر، والترتيب النقدي للمراجع. ومن بين الخطوات التي يجب على الباحث المرور بها هي: اثبات صحة الوثيقة- اثبات تاريخ الأصل- تعيين مكان الوثيقة- تحديد هوية مؤرخ الوثيقة، وهذا النقد يقابل نقد السند عند المسلمين.

وينقسم النقد الخارجي بدوره إلى قسمين:

1-نقد الاستعادة (critique de restitution)هدفها صحة الوثائق، ولها ثلاث حالات -أن تكون نسخة واحدة لا غير بخط المؤلف.

-أن تكون نسخة واحدة بغير خط المؤلف(منسوخة)، وهنا يجدر من الباحث معرفة اللغة التي كتبت به، وان يكون على علم بالأخطاء الشائعة.
-أكثر من نسخة، نتبين من نفس الأخطاء، وترتيبها، واعتبار واحدة هي الأصل، ويجب أن لا نعد قدم المخطوطة هو العامل الفاصل في صحتها.
يجب النظر إلى القراءات المختلفة التي تقدمها المخطوطات، وفي حالة التساوي ينظر وكأننا ليس لدينا إلا مخطوطة واحدة(لكن هذا العمل سلبي)، وحتى يكون العمل أكثر ايجابي، وجب أن نتبين مصدر الوثيقة وهو ما يقوم به العمل الثاني(نقد المصدر). فنقد الاستعادة لا يؤدي إلى استخراج النص كما هو في أصله دون أن يضيف إليه شيئا، مزيلا كل القراءات الفاسدة، فهو لا يضيف شيئا مطلقا إلى النص.

2-نقد المصدر :(critique de source)لا يكتفي أن تكون الوثائق صحيحة كما كتبها صاحبها، وإنما يجب معرفة مصدر الوثيقة، مؤلفها، تاريخها. وعلى الباحث أن يتعامل وكأنه لا توجد في الوثيقة أية إشارات إلى صاحبها(يبدأ من جديد)، وفي هذه الحالة على المؤرخ أن يكون دقيقا في النظر إلى النصوص، وان يفترض مقدما أن كل هذه الوثائق مزيفة، وان لا يأخذ بها إلا إذا ثبتت صحتها، وعليه أن يسير على النحو التالي:

أ-القيام بالتحليل الباطني من حيث:
-الخط الذي كتبت به(اختلاف الخطوط فيما بين العصور).
-اللغة التي كتبت بها(اختلاف الخصائص اللغوية والصور النحوية، وأنواع العبارات والمجازات من عصر لآخر).
–الوقائع من حيث إمكان حدوثها في الزمان المنسوبة إليه، أو في المكان الذي جرت فيه، وان تكون إشارات لهذه الوقائع في كتب المعاصرين، فعن طرق هذه الإشارات نتبين إلى حد ما العصر الذي تنتسب إليه الوثيقة.
ب- القيام بمعرفة من اقتباسات من هذه الوثيقة لدى مؤلفين آخرين بشرط أن يكون هؤلاء المؤلفين معاصرين أو شبه معاصرين، مع ذكر اسم مؤلف الوثيقة، مما يرجح أن يكون الانتحال لم يتم إلا متأخرا، أو لم يتم مطلقا.
جـ-أنواع التزييف: - الحشو و الإكمال، فالحشو هو أن يولج داخل النص أقوالا لم يقل بها المؤلف، أو زيادة شروحات، إما للإيضاح أو لأن النص قد استغلق فهمه على الناسخ الجاهل، آو القارئ غير العالم، يظهر ذلك في كتاب «الرسالة للشافعي" استبدل البعض ألفاظ بالشافعي الرصينة والمتينة السبك والجزلة بألفاظ بدت لهم انسب لعصرهم. أما الإكمال فحدث الكثير عند رجال العصر الوسيط، فأكثر تواريخ العصور الوسطى المسيحية قد أكملت قرنا بعد قرن بواسطة مؤلفين لم يذكروا أسماءهم، فاختلطت بمؤلفي الكتب الأصلية وهو ما يظهر في الكتب الأدبية بين المفضليات "المفضل للضبي" والاصمعيات "للأصمعي".
–لا بد من معرفة المصادر التي صدرت عنها الوثائق لمعرفة الحادثة التاريخية بدقة من حيث مصدرها، ذلك انه من غير الممكن أن تتفق كل الاتفاق على رواية واحدة، وإلا حدث نقل أو سرقة كما يقال في الكتب العربية.
وعليه، فإن نقد المصدر خطوة تمهيدية لا بد منها للوصول إلى النص الحقيقي الذي

وضعه مؤلفه، ونتبين المصدر الذي صدرت عنه الوثيقة
2-النقد الباطني(الداخلي) ويسمى بنقد التأويل، أو نقد المصداقية، يتضمن تحليل مضمون الوثيقة لفهمها فهما صحيحا، والتحقق من ثبوت أصالة النص وإدراك المدلول الحقيقي له وتفسيره ، والتحقق من المعاني الحقيقية التي تحتوي عليها الوثيقة، وبيان ما قصده صاحب الوثيقة، ومعرفة صدقه في الرواية، سواء كان شاهد عيان أو ناقلا عن غيره، فمهمة النقد الباطني امتحان صحة المشاهدة والتسجيل، لهذا يركز الباحث على المحتوى وعلى الأسباب التي دعت إلى إنتاجه. وهذه العملية تتلخص في عمليتين هما:
- النقد الداخلي السلبي للنزاهة والدقة (critique interne négative de sincérité et d'exactitude)وهو ما يقابل عند المسلمين العدالة والضبط، القصد منه السير على مبدأ الشك المنهجي، وان كل الوثائق مزيفة، وعلى المؤرخ أن يبدأ بإثبات صحتها، فالأصل أن كل صاحب وثيقة متهم بالخيانة والتزييف والخطأ وعدم النزاهة. كما يتعين على الباحث نقد كفاءة الكاتب والشاهد على نقل الاحداث، وتحري الكذب من عدمه، ثم نقد الدقة التي يبحث بها عن مدى وقوع الكاتب في اخطاء. وللوصول الى ذلك يتعين طرح مجموعة من الاسئلة، ومنها:- هل للمؤلف مصلحة في تشويه الحقيقة؟ وهل كان في وضع اجبره على ذلك؟ وهل اراد المؤلف ارضاء اطراف معينة؟ وغيرها من الاسئلة.
–النقد الداخلي الايجابي للتفسير (critique positive d'interprétation)ويطلق عليه أيضا نقد التفسير، يقصد منه فهم مدلول نص الوثيقة التي يعنى بدراستها، أي هي عملية تفسير تقوم على فهم النص بلغته الأصلية(تسمى هذه العملية الفيلولوجيا أحيانا خاصة إذا كانت اللغة قديمة). معاني الألفاظ تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، ومعرفة اللغة التي كتبت بها الوثيقة في العصر ذاته(مثلا يقال: فلان التجأ إلى حائط، قد يفهم من الحائط الجدار، بينما هو البستان). والتفسير نوعان:
أ-تفسير يقوم على تحديد المعنى الحرفي للنص، بشرح كل كلمة أو لفظة غريبة وردت في النص شرحا لغويا.
ب- تفسير يقوم على تحديد المعنى الكلي أو الاجمالي الذي يتضمنه النص، ولا يتم ذلك إلا بتحليل النص ومعرفة متنه اصطلاحا. وبذلك يتم بلوغ المعنى الحقيقي لنص الوثيقة. تربط بين مهمة الناقد ومهمة المؤرخ.
5- العلوم المساعدة للنقد التاريخي: لما كان علم التاريخ متداخل مع علوم أخرى، وجب على المؤرخ من توسيع ثقافته والالمام بعلوم اخرى مساعدة على الفهم والتحقق، خاصة العلوم التي لها صلة وثيقة بدراسة الاحداث التاريخية، والتي تمكن الباحث من فهمه فهما معمقا، علما بان للتاريخ مدارس تختلف في الرؤى في تفسير احداثه ووضعها في سياقها التاريخي. ومن بين العلوم التي يمكن للباحث الاستفادة منها اللغة أو الفيلولوجية، لأن فقه اللغات من أكثر العلوم ملازمة للمؤرخ، بها يستدل على فهم معاني الكلمات، والجغرافيا التي لها علاقة عضوية بالتاريخ تلعب دورا كبيرا في صناعة الحدث التاريخي التي يتفاعل معها الانسان في ثلاثية الزمان- المكان –الانسان. بالإضافة الى علم الخطوط القديمة(الباليوغرافيا) وعلم العهود والمواثيق، الاختام، الطوابع، النميات، والتي تعكس صور حضارات الشعوب والأمم

6-أهمية النقد التاريخي: تكمن اهمية النقد في الدراسات التاريخية في التوصل الى حقيقة الاحداث ومعرفة صحتها من خطأها، كما ان النقد وسيلة للتمييز بين الصحيح والخطأ من جهة، والفصل بين بين الاصيل والرديء من جهة أخرى. ومن اسس الراوي العدالة والضبط، لأن الرواة يتفاوتون في ذلك، فمنهم من تتوافر فيه صحة العدالة وتمام الضبط والدراية بالخبر(الناقل والمنقول)، فهذا هو العالم الناقد الذي يحتج بروايته، ومنهم من تتوافر فيه صحة العدالة والضبط، ولكن ليست له دراية وخبرة فتصح روايته، ولا يصح نقده، ومنهم من تتوافر فيه العدالة فحسب، فهذا يحتج بحديثه إذا كان خلله عارضا، وان كان غالبا عليه فلا يحتج به.
خاتمة: النقد عملية علمية وفنية قديمة متجددة يقوم بها الباحث من اجل الكتابة التاريخية(ربط الماضي بالحاضر) وقد ازدادت العملية ضرورة عند الاوربيين بسبب التطور العلمي الحديث في مختلف العلوم. اما المؤرخين المسلمون فقد ظلوا ولمدة قرون يقتصرون في تاريخهم على مجرد الرواية فحسب، دون النقد والتفسير والتعليل، وقد حدد الطبري وظيفة المؤرخ في عصره بأنه ناقل أمين لا ناقد، فحسبه صدق النقل لا صحته، والصدق هنا يرجع إلى السند لا إلى المتن، إلا أن جاء ابن خلدون في القرن8هـ ووضع نظرية في النقد التاريخي، التي سبق بها كثيرا فلاسفة التاريخ ونقاده في العصر الحديث، بنظرية تقوم على الشك في المعرفة التاريخية، وبذلك تفطن ابن خلدون إلى المرحلة الثانية من النقد التاريخي، وهي عملية التركيب التي تربط بين مهمة الناقد ومهمة المؤرخ.

المحور الثالث: التعليل التاريخي

1-مقدمة: لقد كانت النظرة التقليدية إلى التأريخ تهتم غاية ما تهتم بجمع الاخبار العسكرية والتحولات السياسية، والأحداث الاقتصادية والاجتماعية، التي تتخذ صورا وأشكالا كالمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات...وقلما كان قارئ التاريخ يجد في ثنايا الكتابات الموضوعية جانب يتناول ناحية فكرية أو اعتقاديه، أو تحولا اجتماعيا واقتصاديا، آو رؤية نفسية، أو نظرة شبه شاملة، وقد سطر ذلك المنهج بصفة عامة على حركة التاريخ البشري في سائر كتابات المؤرخين ولفترة طويلة، وهذا هو التاريخ في ادنى مظاهره، ثم اتسع الخيال الانساني باتساع الحضارة، واصبح العقل اكثر تطلّعا الى الاحاطة بمظاهر الوجود المادية والروحية، واراد ان يعرف كيف ولماذا حدث؟ فظهرت رؤى تنظيرية لتفسير التاريخ بعوامل مختلفة، ومنها رؤية ابن خلدون بفلسفة للتاريخ الذي أكد ان دراسة التاريخ هي دراسة اسباب. فما هو التعليل، وما منهجه في الدراسة التاريخية.
2-.تعريف
التعليل
التعليل(التفعيل)، لغة من الفعل علل، ومعناه السقي بعد سقي، وجنى الثمرة مرة بعد أخرى، والعِلة هي المرض، والحدث يشغل صاحبه عن حاجته، كأن تلك العلة صارت شغلا ثانيا منعه من شغله الأول.
.واصطلاحا، التعليل في عمومه بيان عّلة الشيء وتقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر، ويطلق على ما يستدل فيه من العلة على

المعلول. فمعنى التعليل
يدور حول تبيين علل الأشياء والظواهر، أي توضيح أسبابها، إذ أن العلة من كل شيء هي سببه. فالمفهوم اللغوي والفلسفي للتعليل هو البحث عن العلة، آو عن السبب الذي يؤدي بنفسه أو بواسطة انضمام غيره إليه إلى أمر آخر يعرف بالمسبب أو بالمعلول. التعليل هو ايضا التفكير في الأسباب المؤدية لشيء ما، والتأكد منها وترجيح أحدهما، وذلك لفهم التاريخ والواقع، ولحل المشكلات وتحديد المسؤولية، وللوقاية وللتطور، وذلك لتحقيق فوائد منها قرن الأسباب بالنتائج في التصرفات، ولفهم الحياة. والتعليل ذروة العملية التركيبية في التاريخ والنتائج النهائية له.
3-تاريخ العملية التعليلية: التعليل قديم قدم الفكر الفلسفي، بل هو في واقع الحال أقدم منه، حيث يقترن وجوده بوجود الانسان، إذ ان الانسان البدائي كان كثير التفكير في العلاقات السببية بين بعض الظواهر الطبيعية وبعضها الاخر، وإن كانت النظرة الميتافيزقية تطغى لديه أكثر. فقد تنبه بعض المؤرخين منذ عهود التدوين التاريخي الاولى الى اهمية تقصي اسباب ووقائع التاريخ وبيانها، حيث أشار هيرودتس(484-425 ق.م) في مقدمة تاريخه الى الغرض الذي دعاه الى تأليفه، وهو ضرورة حفظ احداث الماضي وابراز اسبابها حتى لا تنطمس ذكرى الماضي على مر الأيام. كما عمل مؤرخين يونان آخرين(ثوسيديدس 460-395ق.م) وبوليبيوس(205-123 ق.م) على استقصاء اسباب الحوادث وحرصوا على توضيحها في تواريخهم، بل ذهب بوليبيوس الى تقسيم الاسباب الى اسباب بعيدة واسباب قريبة، مدركا الأدوار العرضية من جهة والادوار الحقيقية من جهة أخرى. واما الراهب بوسيه فكان يرى ان التاريخ دراما إلهية مقدسة، وكل حادثة فيه هي درس من السماء تعلمه للإنسان، وقد سبقه المؤرخ الشهير جيوفانو باتستا فيكو الذي كان يعترف بوجود العناية الالهية، ولكنه في الوقت نفسه كان يفسر احداث التاريخ تفسيرا ارضيا وبشريا خاضعا لقوانين شبه كلية، سواء كانت مُسيرة التاريخ في اتجاه صحيح أو اتجاه فاسد، إلا ان الأوربيين اعتبروا فولتير صاحب كتاب «رسالة في اخلاق الشعوب وروحها ووقائع التاريخ الرئيسية منذ شارلمان وحتى لويس الثالث عشر" هو الذي بدأ النظرة الشاملة للتاريخ ووظيفته وتفسيره لدرجة أن أناتول فرانس يبالغ فيسمي الفترة التي ظهر فيها فولتير بعصر فولتير. وقد
استمر مثل هذا الاعتقاد الغيبي عند الفلاسفة الاوربيين ورجال الدين حتى مطلع العصور الحديثة، وهي ذروة العملية التركيبية في التاريخ، والنتائج النهائية لها، ويقودنا بحث العلاقة بين الحقائق إلى موضوع هام في منهج البحث التاريخي، هو موضوع التعليل، أو البحث عن الأسباب، ولقد أكد التيار الحديث في الكتابة التاريخية أن دراسة التاريخ هي دراسة أسباب، وإذا كان جمع المادة التاريخية يشكل الخطوة الأولى، فإن التعليل يشكل الخطوة الأخيرة الحاسمة، وهو الذي يقود إلى الصيغ العامة التي تشبه إلى حد ما القوانين، والتي تحاول أن تكشف النسي الذي يكون ماضي الإنسان في دوافعه وروابطه (فسرد الأحداث متسلسلة زمنياً أو مصنفة نوعاً، مهما بلغ من الدقة والموضوعية، لم يعد يمثل في نظر المؤرخين المعاصرين سوى تقويم كرونولوجي)، لا يفسر واقع الإنسان وفعاليته المختلفة، ولابدّ من إدخال الروابط المنطقية المعقولة، ضمن تلك الأحداث، والتساؤل عن أسباب ازدهار الحضارات وانحطاطها، وتفوق الأمم وتدهورها، وتفجر الثورات وخمودها إلى غير

ذلك من الأمور.
فالسببية هي الركن الأساسي الذي يقيم التاريخ عليها علميته، ويحاول أن يتساوى بها مع العلوم الأخرى. يضاف أخيراً مشكلة كبرى هي مشكلة (الاحتمال والصدفة)، فهناك أمور تبدو خارجة عن حدود إرادة الإنسان، ومن هنا كانت السببية في التاريخ هي محاولة للكشف عن (السبب) ولكن عن تلك المجموعة المركبة من الأسباب والعوامل الكامنة في كل حدث، وهكذا فإن المشكلات الكثيرة التي لا تزال تحيط بمفهوم السببية في التاريخ، دعت عدداً من الفلاسفة إلى إخراج لفظ (سبب) من قاموس المؤرخين، ورغم ذلك فإنه لابدّ للباحث من المضي في مضمار التعليل، لأن المقصود من السببية في التاريخ تفسير أحداثه، أي جعلها أكثر فهماً، وإيجاد معناها، وبيان أمور فيها تبدو غير ذات معني. .يقسم
والش (Walsh) مفهوم تفسير التاريخ أو البحث عن التعليل فيه إلى ناحيتين:
الأولى: هي البحث عن المعنى في التاريخ أي عندما يبحث المؤرخ في معنى حادث أو مجموعة من الحوادث في بيئة محدودة، في الزمن وإلى حدّ ما في المكان، وهذا العمل بحسب (والش) هو عمل المؤرخ، وهنا يمكن للباحث التاريخي أن يصل بغيته بطرق شتى أهمها : إـ أخذ ما ذكر في الأصول التاريخية نفسها عن مثل تلك الأسباب ب- قيام المؤرخ بدراسة العناصر الداخلة في كل حادث من ظواهر الحقائق التي تعرض له، ومحاولة إثبات أو نفي هذه الفروض حسبما يملك من حقائق بنزاهة موضوعية. جـ-
وعند تحليل الباحث لعناصر العلاقات في الحادث المدروس لاستخلاص أسبابه، يجب أن يلجـأ إلى طريقة (المقارنة) متبعاً بذلك طريقة العلماء الطبيعيين ونحوهم آخذاً بالاعتبار ما يلي :- -إن دراسة التاريخ تدور حول (تاريخ الإنسان) والإنسان كائن معقد. - إن الحوادث التاريخية لا تخضع لسبب واحد، بل لمجموعة من الأسباب. -إن أحداث التاريخ محدودة بالزمان والمكان. الثانية: وهي دراسة في معنى التاريخ ككل ، لأن التساؤل عن معنى التاريخ ككل هو سؤال فوق التاريخ، فالتاريخ بمعناه الحقيقي هو اجتماع لعديد الأجناس والأمم بالعادات والأفكار والنشاطات في تيار واحد، وان ميدان فلسفة التاريخ مدارس عديدة تكمل بعضها البعض وكلها تنظر إلى التاريخ كوحدة متكاملة، وعلى الباحث التاريخي أن يستفيد من هذه المدارس كلها، وان يسعى إلى البحث عن جميع الأسباب.
على الباحث التاريخي أن يستفيد من مدارس فلسفة التاريخ كلها، وأن يسعى إلى البحث عن جميع الأسباب والعوامل والدوافع المشار إليها آنفاً في إطار بحثه دون فكرة مسبقة، وألا يأخذ بنظرية واحدة، وأن يختار من الحقائق ما يؤيدها. وعلى الباحث أيضاً ألا يسرف في تحليل الأصول، بحث يحملها من الاجتهادات أكثر من محتواها الحقيقي. كما لا يجوز أن يخلط بين الحقائق المؤكدة التي توصل إليها من وثائقه، وبين الوقائع التي حصل عليها بالاجتهاد، وفي الحالة الأخيرة عليه أن يبين بصراحة أنها استنتاج. 4-المدارس والتعليل التاريخي تقتسم التاريخ مدارس عدة(البيوغرافية، العلمية، الاقتصادية، الجغرافية، الاجتماعية،

الفكرية...) لكنها تكتمل تياراتها الواحدة منها مع الأخرى، وتحاول ان تنظر الى تاريخ الانسانية العام كوحدة واحدة، خاصة وان التاريخ عملية لتتابع جهود وعوامل فردية وجماعية لمختلف المدارس. وعليه فإن باحث التاريخ عليه ان يستفيد من كل هذه المدارس كلها، وان يسعى الى البحث عن جميع الاسباب والعوامل والدوافع المشار اليها سابقا دون فكرة مسبقة، والا يأخذ بنظرية واحدة، وان يختار من الحقائق ما يؤيدها. والاساس الذي يستند اليه المؤرخ في التعليل واستخلاص اسباب الاحداث هو التماثل بين الماضي والحاضر، والذي يترتب عليه امكانية قياس علل الماضي على علل الحاضر. ويفترض في البحث عن الاسباب للمجتمعات ان يتم من خلال: -عادات الاشخاص، لأن تغير العادات يتم بتغيير طرق العمل والتفكير، إما ارايديا بمحاكاة مجتمع آخر، او قسريا بوقوعه تحت تأثير عامل خارجي(الاحتلال).

-تغير الاجيال، انقراض جيل ومجيء جيل جديد يختلف عن السابق في اعرافه وعاداته. -الاسباب الأنثروبولوجيا، لها أثر فعّال في التطور، والتي ترى الاختلاف في التطور واضح بين الاجناس، وهي نظرة عنصرية أكثر منها علمية... وهذا يتضح ان مرحلة التعليل هي اشق المراحل في البحث التاريخي، وأكثرها صعوبة تظهر فيها امكانيات الباحث المؤرخ .

5-ابن خلدون والتعليل التاريخي: يعتبر ابن خلدون(1406-1332م) ابرز المؤرخين العرب والمسلمين الذين اهتموا بالتعليل وبيان اسباب الاحداث، ومن الاوائل الذين اهتموا بالتعليل الصحيح للتاريخ، وأول من الف في فلسفة التاريخ، فهو الذي رأى ان فهم التاريخ يقوم على التعليل الاجتماعي، حينما قال"أن التاريخ نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق"، والحق ان ابن خلدون هو المفتاح في النظرة المتكاملة والرؤية والمنهج في قضية تفسير التاريخ، وهو اول من فحص الخبر التاريخي في ذاته بدراسة الواقع الاجتماعي شخصيا عن كثب، ولعل ذلك يظهر في حصيلة ابحاثه الفلسفية والاجتماعية(كتاب العبر)، حيث ان البعد العلمي يكمن في المنهج الذي يعتمده في دراسة الظواهر الاجتماعية. وشهادة المؤرخ ارنولد توينبي الذي تحدث كثيرا عن ابن خلدون في كتابه" دراسة التاريخ" لخير دليل، ومنها قوله"أن ابن خلدون قد تصور في مقدمته، ووضع فلسفة للتاريخ هي بلا مراء اعظم عمل من نوعه ابتدعه عقل في اي مكان او زمان" أما روبرت فلنت فيقول عنه في كتابه-تأريخ فلسفة التاريخ- انه لا العالم الكلاسيكي ولا المسيحي الوسيط قد أنجب مثيلا له في فلسفة التاريخ...لقد كان فريدا ووحيدا بين معاصريه في فلسفة التأريخ بأصالته وفطنته وشموله...لقد جمع مؤرخو العرب المادة التاريخية، ولكنه وحده الذي استخدمها.

يتميز منهج ابن خلدون بـ :

-استقراء القوانين المسيطرة على سير التاريخ من حوادث التاريخ نفسها، وليس ثمة قانون خارج عن نطاق حوادث التاريخ يؤثر في تلك الحوادث، والجمع بين التركيب والتحليل للتوفيق بين الاستقراء والاستدلال في البحث العلمي.

–رفض النظرة الاحادية الجانب في دراسة الظواهر الاجتماعية، بمعنى الالمام بأكبر عدد ممكن من العوامل التي يجوز أن تؤثر في تطور المجتمع، ولا يكون ذلك إلا

بالنظرة الشاملة في بناء المجتمع، وفي طراز المعيشة، ووجوه النشاط الانساني.
وبالتالي يعتبر ابن خلدون وكتابه" العبر" ثورة ضد منهجية القرون الوسطى، هذه النظرة قادت ابن خلدون الى ضرورة تجاوز حدود السرد البسيط للأحداث التاريخية، والوصف المباشر للوقائع والنقل للحقائق. هذه النظرة انتهت بابن خلدون الى التمييز بين التاريخ العام كعلم يقوم بدراسة القوانين الاجتماعية والاحوال العامة، والتاريخ الخاص او الملموس الذي يفسر الاحداث التاريخية التي يدرسها التاريخ العام.
–يقر ابن خلدون بالرابطة لحوادث التاريخ بطواهر الحياة الاجتماعية، اي الرابطة السببية للوجود، فكل حادث لا بد ان يمتلك سببا له، وهذا السبب لا يمكن ان يوجد خارج الحادث نفسه، اي يكمن في ماهيته الداخلية وفي علاقته الجوهرية، وعن ذلك يقول ابن خلدون في" مقدمته" إن كل حادث من الحوادث ذات كان او فعلا لا بد من طبيعة تخصه في ذاته، وفيما يعرض له من أحواله".
– لا يكتفي ابن خلدون بالاعتراف بالسببية لظواهر الواقع وحسب، بل يحاول تخطي ذلك باتجاه اقرار لا محدودية ولا نهائية هذه الرابطة، الامر الذي يشكل ميلا واضح نحو المادية الفلسفية، كما يقترب ابن خلدون من الاعتراف بالحركة والتطور، اي انه يقترب من فهم ذاتية الحركة. كل ذلك يؤكد ان ابن خلدون كان نظير للحتمية المادية التي تعتمد على معرفة القوانين التي تخضع لها العملية التاريخية، اي على فهم الرابطة السببية لظواهر الواقع
الاجتماعي.
خاتمة: نخلص مما سبق ان على الباحث التاريخي ان يستفيد من مدارس فلسفة التاريخ كلها، وان يسعى الى البحث عن جميع العوامل والدوافع في اطار بحثه دون فكرة مسبقة، وان لا يأخذ بنظرية واحدة، وان يختار من الحقائق ما يؤيدها، وان لا يبدأ باستعراض الحقائق وادرك كنهها الا بعد التأكد والتيقن.
وعليه، فإن مرحلة التعليل التاريخي هي أشق المراحل في البحث التاريخي، وأكثرها صعوبة، تظهر فيها امكانية المؤرخ، لأن ما ذكر من مراحل في اعداد البحث التاريخي تتطلب محاكمة قوية وسليمة، وخيال مبدع، وثقافة واسعة عميقة، وموضوعية تامة. كما على المؤرخ ان يسخر التاريخ كله ماضيه وحاضره للمستقبل من أجل تأييد فروضه لحل المشاكل، فمثلا هيجل سخر التاريخ كله من أجل فكرة ميتافيزيقية سيطرت عليه هي تعبير الروح عن حريتها عن مسار التاريخ، وتحامل ماركس على الرأسمالية في عصره، فسخر تفسيره الاقتصادي للتاريخ من أجل تأييد فكرته، والعلل في التاريخ تكثر بكثرة الجهات وتعددها، وانه قد يثبت المؤرخ للحادثة الواحدة مجموعة من الاسباب والعلل.

المحور الرابع: التركيب التاريخي(البناء التاريخي للمادة التاريخية)

1-مقدمة: يقدم النقد التاريخي للباحث ما يسمى بحقائق التاريخ بشكل مبعثر، متفرق ومجرد، ولا بد لهذه الحقائق ان تنظم ويتم الربط بينها بفرضية تعلل الحادث وتبين مجرياته، وتعلل اسبابه، وتحدد نتائجه، ذلك ان فلسفة التركيب تسائل المعرفة والحقيقة التاريخية، وتطرح الشك حول جودة تعريف الواقعة؛ اي الاحاطة بما يمكن

من المعطيات الصغيرة والتفاصيل الكبيرة اجتماعيا، والمباشرة وغير المباشرة استراتيجيا، والمتزامنة والمتعاقبة زمنيا، والمتجاورة والمتنائية جغرافيا، وجعلها على نفس الدرجة من الاهمية.
للعلم، ان وزن المعطيات يتغير، ويتبدل حضورها في الواقعة التاريخية كلما ظهرت دعامات وشواهد ومستجدات، تتطلب تجديد النظر بإعادة ترتيب وتصنيف يؤثر في القضية. فالحدث غير ثابت، وإنما مرشح دائما لإعادة مشهده باعتماد مفهوم التركيب، والحدث التاريخي يمكن ان يعاد تركيبه وبناؤه مجددا وفق اللبنات الجديدة.
2-تعريف التركيب التاريخي: هو مرحلة سابقة لكل تفسير للمشكل المطروح، ويتعلق الامر بالأحداث التاريخية الغير جاهزة، والتي يتم بناؤها بواسطة المنهج التاريخي الذي يكون في هذه المرحلة انتقائيا ونقديا، ولهذا وجب ان نتوقف عند قابلية الاحداث للفهم عند قابلية، وعند ملائمة الاحداث، وعند صحة الاحداث بين الدليل الوثائقي والدليل الحجاجي. وعليه، فالتركيب هو معالجة الوقائع المختلفة المتفرقة والمعزولة داخل الحدث التاريخي، الذي يتصف بالتركيب والتأليف... اي ان الباحث يشتغل ليعد حكما علميا ازاء حدث من حيث اعادة النظر في تفسيره، او تعريفه بسبب ظهور وقائع جديدة يمكن ان تغير الحقيقة التاريخية، هذا التغير ينتج عن العثور عن دلائل ومعطيات تؤدي الى التغير التاريخي، فيؤدي الى إضعاف حجتها أو تقوية موقعها. كما يمكن ان يحدث ذلك بسبب تغير في المنهج الذي يمكن ان يوصل الى وقائع جديدة، ولعل استعمال الوسائل الجديدة في البحث، والكشف التاريخي، والتقصي، لها مقدرة على اجراء تحليلات وتنقيبات، واكتشاف مصادر جديدة مفيدة في وقائع ضمن حدث تاريخي. بينما يعرفه الحسن الادريسي بالمنهج الاستدلال الذي ينطلق من الاسباب الى النتائج، ومن البسيط الى المعقد، لتجميع العناصر او النتائج الجزئية في شكل خاص ومنظم.
التركيب هو ايضا عملية اعادة الكتابة بإقحام معطيات جديدة واستبعاد اخرى كانت تعد مركزية في اطلاق الحكم التاريخي، وهذه العملية بطيئة بسبب الحاجة الى الادلة الاكثر صمودا والأقوى على زعزعة ما رسخ من قناعات ويقينيات، كما ان التركيب عملية تحتاج الى الجرأة قبل سلطة الامكانيات التي قد لا تقع تحت يد الباحث البسيط.
3-عملية التركيب التاريخي: التركيب التاريخي يبني منهجا في التعامل مع الاحداث، وتحليلات الوقائع، والانتباه الى ما يعزز ذلك من ادلة وعدم قبول الروايات غير الموثقة، وعدم التسليم لوجهة نظر واحدة مهما بلغت قوتها، وتتضمن عملية التركيب جملة من العمليات المتداخلة والمترابطة ترابطا منطقيا لكي تعطي الباحث التاريخي صورة فكرية جلية لكل حقيقة من الحقائق التي اجتمعت عنده. وفيما يلي شرح لعمليات التركيب التاريخي: 1- قيام الباحث بتكوين صورة فكرية واضحة لكل حقيقة من الحقائق المتجمعة لديه، وللهيكل العام لمجموع البحث. بمعنى تكوين صورة عن الواقع الماضي تحدثها مخيلة الباحث التاريخي من منطلق مشابهة الماضي الانساني لحاضره. إلا أن المعطيات الوثائقية المتنوعة تجعلها أكثر وضوحا وتقود الباحث التاريخي إلى أساس واضح بجمع الحقائق المتوفرة لديه.
2-تصنيف الحقائق بحسب طبيعتها الداخلية، حيث تجمع الحقائق الفكرية مع بعضها، وكذلك الحال مع الحقائق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وقد أتم المؤرخون وضع هيكل لتصنيف الحقائق التاريخية جمعت فيه طبيعة الظروف الخارجية

وخصائص الحقائق التاريخية ومظاهر النشاط والفعالية الإنسانية، وقد تضمن هذا الهيكل ما يلي: -لابد من الإشارة هنا إلى أن أنواع التصنيف الزمني والجغرافي وفق الخصائص ونوعها متلازمان تلازما منطقيا لا يمكن استقلال أحدهما عن الآخر، وعندما يضيف الباحث التاريخي حقائقه يجد أن كل عمل انساني إنما هو ظاهرة فردية مؤطرة بعامل الزمان والمكان، ولكن هذا العمل الانساني للفرد يشابه أعمالا أخرى له، أو تشابه اعملا لأفراد آخرين ينتمون لنفس البيئة أو ينتمون لبيئة أخرى، يمكن تسمية هذه الأعمال المتشابهة باسم (العادات) أو (النظم) وهما حقائق جماعية تمتد في الزمان والمكان.

وقد لا يكتفي الباحث التاريخي بالمقارنة بين أحداث زمن وآخر في بيئة واحدة، بل يبحث أوجه الشبه والخلاف بين الظاهرات المختلفة في بيئات مختلفة، وفي أزمنة مختلفة أو متشابهة، لكن في نهاية الأمر على محاور التشابه في بعض الظاهرات على مستوى المجتمعات البشرية كلها مما يدفع المؤرخ إلى وضع (التعميمات) التي تجعل الصياغة التاريخية أقرب من الصياغة العلمية المحددة بالقانون.

3-يملك المؤرخ والباحث التاريخي المحاكمة أو ما يدعى بملء الفجوات والثغرات التي يجدها في هيكل التصنيف، لأنه لا يتمكن من ملء هذه الثغرات بالملاحظة المباشرة قياسا بالبحث في العلوم المجردة، ولتحقيق عامل المحاكمة هناك منهجيتان:

-أ-المنهجية السلبية: تعني الاعتقاد بأن الحدث التاريخي الناقص حدث لم يقع، وحتى تكون المحاكمة سليمة لابد من التأكيد على الا تكون هناك وثائق تشير إلى الحدث الناقص. وعلى أن الحدث التاريخي الناقص لابد من ملاحظته وتدوينه لأهميته. كما أن الاجتهاد السلبي ليس بالإمكان استخدامه إلا في حالتين:

-إذا كان هدف المؤلف للوثيقة التاريخية التي لم تذكر فيها الحقيقة. هو أن يذكر بدقة وانتظام جميع الوقائع التي هي من نوع الحقيقة والتي كانت على صلة شديدة بها.

ب. أن تكون الحقيقة أو نوعيتها لها تأثير كبير في فكر المؤلف للوثيقة حتى اصبحت جزءا من مفهومه الفكري، كأن تفتقد ظاهرة فكرية بارزة لدى مؤرخ عرف بدقته في تقصي الحقائق بكل دقة وعناية .

المنهجية الإيجابية: تعتمد هذه المنهجية على استنتاج حقيقة لم تشر إليها الوثائق التاريخية من حقيقة أثبتتها تلك الوثائق. ويستند الاجتهاد الإيجابي على فرضيتين: الأولى فرضية عامة منبثقة من كليات عامة مستمدة من التجارب الإنسانية، والثانية فرضية خاصة مستخلصة من الوثائق التاريخية. والمؤرخ عادة يبدأ بالفرضية الخاصة أي بالحقائق المنبثقة من الوثيقة التاريخية. وحتى تكون النتيجة سليمة وصحيحة وثابتة لابد من شرطين أساسين :

-أن تكون الفرضية العامة صحيحة. أي أن يكون الارتباط شديد الوثاق. بين الواقعتين التاريخيتين. فإذا تحقق هذا الشرط يكون قد توفر للبحث التاريخي (قانون). ولكن بما أن معالجة الوقائع الإنسانية لا يمكن أن تحصل بقوانين فرضية مستخلصة من تعميمات ناقصة، تكون هذه القوانين الفرضية قوانين قريبة من الحقيقة بالنسبة إلى مجموعة محددة من الوقائع التاريخية، ولكنها ليست حقائق صحيحة بالمطلق.

ففرضية ارتباط اسم مدينة بشعب مؤسس لها مثلا ليست صحيحة على الدوام، ومن ثم لابد من توفر شروط أخرى لكي تكون الحقيقة سليمة تماما .

أن تكون للمؤرخ معرفة تفصيلية عن الحقيقة الخاصة. ففي مثال المدينة السابق ذكره يجب على الباحث قبل أن يصدر الحكم حول من أسس المدينة أن يدرس الظروف المختلفة المحيطة بالمدينة مثل موقعها وعادات شعبها وتطورها التاريخي. بعبارة أخرى يجب على الباحث الاعتماد على مجموعة من الظواهر والتفصيلات ذات العلاقة لا أن يعتمد على ظاهرة واحدة. خاصة أن الفرضيات العامة مستنتجة في الغالب من معلومات الإنسان عن الحياة الاجتماعية وهذا النوع من المعلومات الإنسانية يحتمل عنصر الشك. ولابد في هذا المجال من التأكيد على أمرين:
- أولا: ضرورة التروي في استنتاج الاجتهاد التاريخي، وعدم الاعتماد على تعميمات ضعيفة الأدلة فقيرة البراهين. خاصة بأن الاجتهاد التاريخي لا يقود إلى نتائج وحقائق قاطعة وإنما يقود إلى نتائج تقريبية.
-ثانيا: لا يجوز الخلط بين الحقائق المطلقة التي تم التوصل إليها من الوثائق التاريخية، وبين الوقائع التي تم استنتاجها من خلال الاجتهاد. وفي هذه الحالة على المؤرخ أن يذكر بصراحة أن ما توصل إليه إنما هو استنتاجه الذاتي، وعليه أيضا أن يبين رأيه في مصداقية ذلك الاستنتاج.
التركيب كسياق للربط وكإنتاج نهائي يسعى المؤرخ من خلاله الى تحويل العرض العشوائي لأحداث الماضي في قالب مهيكل ومنظم عن طريق تقنيتي التعاقب والتزامن، وفي ذلك يقول انطوان بروست(Antoine Prost)" عندما يستدل المؤرخ اعتمادا على الخط التعاقبي، فان اهتمامه بالمضمون العام، وتعدد الاسباب يرغمانه على تناول الاحداث لحظيا بتقصي التزامن، ولما يستدل وفق الخط التزامني فان تطور الاحداث المختلفة الذي اعتمد ضمنيا او ظاهريا في خضم فترات زمنية طويلة".
ملاحظة: تتضمن عملية التركيب التاريخي عمليات مترابطة متداخلة مع بعضها، تكون صورة فكرية واضحة لكل حقيقة من الحقائق المجمعة لدى الباحث:
التعليل وعلاقته بالتر كيب: سبق الحديث في المحاضرة السابقة ـأن ربط الحقائق التاريخية ببعضها، أو البحث عن علاقات قائمة بينها، هي ذروة العملية التركيبية في التاريخ، والنتائج النهائية لها، ويقودنا بحث العلاقة بين الحقائق إلى موضوع هام في منهج البحث التاريخي، وهو موضوع التعليل، أو البحث عن الأسباب، ولقد أكد التيار الحديث في الكتابة التاريخية أن دراسة التاريخ هي دراسة أسباب، وإذا كان جمع المادة التاريخية يشكل الخطوة الأولى، فإن التعليل يشكل الخطوة الأخيرة الحاسمة، وهو الذي يقود إلى الصيغ العامة التي تشبه إلى حد ما القوانين، والتي تحاول أن تكشف النسيج الذي يكون ماضيه الإنسان في دوافعه وروابطه١، فسرد الأحداث متسلسلة زمنيا أو مصنفة نوعا، مهما بلغ من الدقة والموضوعية، لم يعد يمثل في نظر المؤرخين المعاصرين سوى تقويم "كرونولوجي"، لا يفسر واقع الإنسان وفعاليته المختلفة، ولا بد من إدخال الروابط المنطقية والمعقولة،

بعض قواعد التركيب التاريخي القواعد العامة للتركيب التاريخي
ينبغي على الباحث في التاريخ ان يقوم بسلسلة من عمليات التركيب، ودراسة هذه العمليات من اهم المراحل في الإلمام بمنهج الباحث في علم التاريخ، وهي مرتبطة بنوع المادة التاريخية التي يتوصل الى جمعها الباحث في التاريخ. كما

على الباحث ان يبدأ بالنظر الى نوع الحقائق التاريخية التي جمعها ولا ريب في اختلاف هذه الحقائق وتنوعها، وهناك أمثلة لما يمكن ان يجده الباحث من خلال بعض القواعد، ومنها: - استخراج بعض الحقائق المتنوعة من أصل تاريخي واحد، من الخط، ومن اللغة، ومن العقائد، ومنة العادات، ومن النظم... –

يجب تقسيم الحقائق التاريخية الى اقسام بحسب انواعها.

– تبدو الحقائق التاريخية على درجات متفاوتة من التعميم او التخصيص من الحقائق العامة، وهنا ينبغي على الباحث ان يضع الوقائع المتشابهة في مستوى عمومها أو خصوصها في صعيد واحد بقدر المستطاع.

– على الباحث في التاريخ ان يدرس الحقائق المتعلقة بالمكان والزمان في العصور المختلفة، لأن الوقائع التاريخية تتحدد بمكان وزمان حدوثها، حتى لا تفقد مشخصاتها التاريخية وتدخل في نطاق المعلومات العامة. – تختلف الروايات التاريخية في مدى احتمال الصدق فيها، لأن فيها الثابتة، وفيها المحتملة الصدق او الضعيفة أو المشكوك في صحتها، فعلى الباحث البرهنة في واقعها الثابت.

وبهذا نجد ان التركيب التاريخي يتم عن طريق جمع من الحقائق المشتملة بدورها على جزيئات تفصيلية متنوعة تتشابه او تختلف، وقد تتفاوت من حيث خصوصيتها وعموميتها، مدلولها وموضوعها.

خاتمة: يعتبر التركيب كعملية تفسير مقنعة انطلاقا من المعطيات المجزأة لشرح المشكلة المطروحة، يكون التفسير مقبولا وعقلانيا، لأنه اسس على براهين وحجج مقدمة من الوثائق، ويرد ضمن التركيب سواء من حيث هو سيرورة، او من حيث هو نتيجة، حجج المؤرخ من اجل اثبات صحة براهينه على الاشكالية المطروحة.

المحور الخامس: القواعد العلمية والفنية لكتابة بحث تاريخي

إن الكتابة فن رفيع تتطلب إجادته جهدا وصبرا كبيرين، ولا توجد وسيلة يمكن أن تجعل الباحث كاتبا متميزا، بل الأمر يتطلب مداومة التدريب على الكتابة السليمة، ويبقى من الضروري الإلمام بأصول الكتابة العلمية وتطبيقاتها حرفيا حسب نظام الدراسات الأكاديمية، وذلك من خلال جملة من القواعد الفنية والطرق العلمية، والتي تتمثل فيما يلي.

-1المقدمة: بعد إتمام الكتابة الأولى للموضوع «المسودة" والاستعراض التام له، تكون صورة البحث قد اتضحت تماما، واكتمل بناؤه العلمي، فمقدمة البحث هي مطلع الرسالة وواجهتها الأولى، يشير فيها الباحث بإيجاز إلى المعلومات التي يرغب في تدوينها في المقدمة، الكتابات السابقة موضحا الصلة، ولا بد من تكون قوية متسلسلة الأفكار، واضحة الأسلوب، متماسكة المعاني، وذات الدلالة بالنسبة لبحثه. فهي وصف موجز لموضوع البحث وأهميته بالنسبة للعلم والمعرفة والمجتمع بغية سد نقص في المعرفة العلمية، وفي حقل تخصص الباحث، فالمقدمة بمثابة سعي

لتقديم حلولا، أو معالجات لمشكلات قائمة. ويجب أن تحتوي على:
-الإشارة إلى قيمة البحث وأهميته.
–الأسباب التي أدت إلى اختيار الموضوع.
– الإشكالية التي يدور حولها موضوع البحث، والفرضيات المطلوبة..
-المنهج الذي سلكه الباحث في معالجة بحثه.
- الدراسات السابقة التي أسهمت في تطور الموضوع وخصائصه، لتبين المقارنة بينها وبين الإضافات الجديدة التي أضافها الباحث.
–ملخص عن الطرق التي أمكن القيام بها للحصول على النتائج المتوصل إليها.
يجب أن تكون المقدمة ذات صلة وثيقة بموضوع البحث، لأنها تعتبر البداية الحقيقية للبحث، وان تحرر في أسلوب علمي قوي، كما ينبغي أن تكون صورة مصغرة عن البحث بذكر التقسيمات الأساسية لفصوله وترتيبها ترتيبا منطقيا.
2-الهوامش: إن التزام الباحث بقواعد كتابة الهوامش والحواشي احد علامات قوة بحثه، وطريقة على فهمه للمادة العلمية التي يبحث فيها، وحرصه على وضعها في الموضع الذي ينبغي أن تكون فيه، وهي في نفس الوقت شهادة له بالأمانة التي تفرض عليه أن ينسب كل رأي إلى صاحبه.
تطلق كلمة حواشي على كل ما لا يعتبر جزءًا أساسيا في المتن، وهي مدونات خارجة عن المتن، ولكنها جزء منه في نفس الوقت، يسميها بعض الباحثين بـ"الحواشي(footnotes)"، ويعرفها البعض الآخر بالمصادر والمراجع التي يستخدمها الباحث في بحثه، وتعرف بأنها التعليقات، أوالتدليل على فكرة، أو الترجمة لعلم من الأعلام، أو التعريف بمكان، أو التاريخ لحادثة معينة، وقد يذكر الباحث مع الحاشية مصدرا أو أكثر.
وظائف التهميش: -الغرض الرئيس من الهوامش هو التوضيح والتوثيق، والهوامش ليست غاية في ذاتها، ولكن الغاية منها هو تقديم الأدلة والبراهين على ما أشتمل عليه البحث من أراء. -
هناك من المعلومات ما يكون مكانها نصوص في المتن، والبعض الأخر مكانها في الهامش، ومالا يصلح للهامش لا يصلح للمتن والعكس صحيح، والغاية من الهامش هو تجريد المتن من الاستطرادات والإضافات.
–ذكر المصادر والمراجع التي استقى منها الباحث مادته، هي مستندات دراسته وبراهين وأدلة على ما يسوق من أفكار وإرشاد للقراء.
–شرح بعض المفردات والمصطلحات مع مراعاة كتابة ذلك بلغتها المنقول عنها، ولا يقتصر على الترجمة، إلا إذا كانت الترجمة مشهورة.
–تخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والأبيات الشعرية، والأمثال والحكم... ملاحظة: ينبغي أن يتوافر للحواشي والهوامش أمران هما: الدقة في التعقيب والإيجاز فيه، وعدم اشتماله على قضايا مهمة مكانها الأصلي المتن، والدقة في ذكر بيانات المصدر والمرجع(الاسم واللقب، العنوان، الطبعة، مكان النشر، تاريخ النشر، رقم الصفحة) وعدم التكرار.
3-الملاحق: يتضمن البحث عدة فقرات تدخل ضمن ما يعرف بهيكل البحث، ومن

بين هذه الفقرات ما يسمى بالملاحق، وان كانت تبدوا أمور شكلية كما يعتقد البعض إلا أنها تؤخذ بعين الاعتبار. فالملاحق هي أصول اعتمد عليها الباحث، أو مختارات منها، ترقم وتوضع متسلسلة وفق أرقامها. فهي مجال لتقديم أو نشر مختارات من الأصول التاريخية التي اعتمد عليها الباحث، وان نشر بعض هذه الأصول لأمر جوهري إذ أنه يقدم للقارئ المختص شيئا من المادة الأولية التي استقى منها البحث معلوماته. قد تصادف

الباحث بعض النصوص لا يستطيع أن يضعها في صلب الموضوع مخافة الاستطراد، وحتى لا يقطع انسجام الموضوع وتسلسله يلجأ الباحث إلى وضعها في الحاشية إذا كان التفصيل قصيرا، أما إذا كان طويلا فلا بد من وضعه في ملحق خاص بالملاحق . من أنواع الملاحق،

المراسلات السياسية التي يكتبها السفراء إلى حكوماتهم، أو صور لمعاهدات عسكرية أو سياسية أو تجارية، أو مشاهدات رحالة معاصر، أو وصف شاهد عيان، أو خرائط، جداول، بيانات... ومن الأفضل أن تنشر هذه الأصول بلغاتها وهجائها وأخطائها التي ربما تعوق الفهم، ثم يأتي التعليق على نصوصها إذا اقتضى الأمر، وبيان قيمها التاريخية، وأحيانا ينشر الباحث في هذه الملاحق مناقشات خاصة بشأن التثبت من صحة أصل تاريخي، أو تحديد العلاقة بين بعضها البعض، وقد تنشر هذه التعليقات في ملحق خاص متصل بالبحث ذاته، أو تنشر في مجلد خاص تابع له. يرى البعض أن الملاحق إن

وجدت توضع بعد مصادر البحث، والحجة في ذلك أن الملاحق شيء زائد من الممكن الاستغناء عنه، بعد أن يشير في صلب البحث إلى ما يحتاجه البحث مما ورد في هذه الملاحق، ورأي آخر يرى وضع الملاحق بعد الرسالة مباشرة، فالصلة العلمية بينهما وبين الرسالة واضحة جدا، ثم أن المراجع قد تشمل المصادر التي أخذت منها هذه الملاحق، ومن ثم لزم أن تثبت مصادر الرسالة بعد كل شيء علمي وردت الإشارة إليه. لا شك ان الملاحق تزيد من ضخامة البحث، ولكنها تساعد على الاستيعاب للمعلومات بسرعة، ومن ثم يراعى الدقة في اختيار المهم والضروري منها، وتدون الملاحق في ورقة مستقلة، وتعطى الرقم التسلسلي مثلها مثل بقية الصفحات، ولكل ملحق رقم وعنوان .

4-الاقتباس: هو الاستعانة بالمصادر والمراجع في إنجاز الرسائل والبحوث، وهو أيضا الاستشهاد بأفكار وأراء الآخرين المتعلقة بموضوع البحث، فهو يعزز التواصل والاستمرارية والبناء التكاملي للمعرفة والعلم. وهو نوعان:

-اقتباس مباشر (direct quotation)وهو النقل لنص مكتوب بنفس الشكل والكيفية واللغة التي ورد فيها ويسمى بالاقتباس الحرفي، وبالتضمين. فإذا كان الاقتباس لبعض الأسطر(ما بين5و6) يوضع بين شولات، أما إذا تجاوزها فإن الاقتباس يوضع بشكل مميز. -اقتباس

غير مباشر (indirect quotation)وهو الأكثر شيوعا، وذلك بتلخيص فكرة أو موضوعا، والأفضل الإشارة إلى المصدر الذي اقتبس منه بذكر عبارة أرجع إلى... أو أنظر...لكن البعض يرى إيراد المصدر كالمعتاد.

ملاحظة: -قد يرغب الباحث أحيانا أن يورد تعليقا على نص اقتبسه، وهنا يشير إلى النص الأصلي ويوضح فيما بعد التعليق، لكن مع عدم تشويه النص، أو المعنى الذي

كان يقصده الكاتب
الأصيل.
من شروط الاقتباس أن يضع الباحث ما اقتبسه بين علامات التنصيص »ثم الإشارة إلى المصدر الذي اقتبس منه في هامش الصفحة أو الفصل أو نهاية البحث، كما ينبغي ألا يفرط الباحث في كثرة الاقتباس من المصادر، وعدم تكرار نصا مقتبسا في البحث، ومما يزيد الاقتباس نفعا الدقة والنقل الصحيح للمعلومات. وتكمن أهمية الاقتباس في التأصيل العلمي والموضوعي للأفكار، وتوليد أفكار جديدة من خلال التبادل والتحليل، والاستعانة من أراء الآخرين لتدعيم وجهة نظر الباحث، والوفاء بمتطلبات وقواعد البحث العلمي. 5-الأسلوب اللغوي: يجب أن تتوفر في الكتابة من الناحية اللغوية، والالتزام بالأسلوب العلمي الذي يبرز الحقائق والمعلومات بأمانة وموضوعية. والأسلوب أيضا هو وسيلة التعبير عن الحقائق وعرضها باستخدام ألفاظ واضحة الدلالة وغايته الدقة والوضوح، وكل ذلك يتطلب التمكن من اللغة وقواعدها.
فإذا كان الأسلوب اللغوي يتميز بإجادة عرض الفكرة وبراعة التعبير عنها، وإبرازها في صورة تغذي العقل وتمتع العاطفة، فإن الأسلوب العلمي يتطلب الدقة في استخدام الكلمات غير المحددة الدلالة، وتجنب استعمال المترادفات والمجازات، واستعمال أسلوب مباشر واضح ودقيق يبرز المعنى بأقل الكلمات الممكنة. ومن الشروط العامة للكتابة العلمي أ-الفقرة ومواصفاتها: يتكون البحث من عدة فقرات، وكل فقرة من بضع جمل تتناول فكرة واحدة توضحها وتناقشها، ينبغي مراعاة الصلة بين كل فقرة وأخرى، بان تنتهي كل فقرة بجملة تمهد للفقرة التالية، ويتعين أن تكون الفقرات متوسطة الطول، ويمكن تقسيم كل فقرة من حيث المعاني التي ترد فيها إلى مجاميع، وتحت مجاميع باستخدام وسائل الترقيم المختلفة.
ب-الجملة وشروطها: أن الجمل هي الوحدات التي تتكون منها الفقرة، وينبغي عند اختيار الجمل مراعاة وضوح المعنى، وان تكون كاملة(فعل-فاعل-مفعول) وان تكون بسيطة غير معقدة يسهل تتبع مكوناتها، وان تكون قصيرة، خالية من الكلمات العامية، والدارجة، والمبهمة، والهجينة، وغني عن البيان أن الجمل غير الكاملة لا تصلح للكتابة العلمية. الخاتمة: هي من أهم أجزاء البحث، والبحث كله لا يعني شيئا حتى تقدم له النتائج التي توصل إليها، والتي يجري عرضها في الخاتمة، وهي لا شك المساهمة الأصيلة والإضافة العلمية التي تنسب للباحث بلا منافسة، إنها الدليل الملموس على قيمة البحث والدراسة، ليس هذا فحسب، بل إنها المرآة الحقيقية لمستوى الباحث، ومقدار فهمه للمادة العلمية التي يعرضها، وهي أيضا آخر ما يلامس نظر القراء، فلا بد من إحكامها فكرا، وأسلوبا، وصياغة، وترتيبا. وهي عرض مختصر للآراء المختلفة المتعلقة بموضوع البحث، والنتائج المستخلصة أو المستنبطة منه، والملاحظات التي يطلع بها الباحث، وتكسب الموضوع مزيدا من العلم والمعرفة، فضلا عن التوصيات التي تقدمها، ويتضح بها كضرورة متابعة البحث في فكرة أو مشكلة معينة من البحث لعدم تمكنه هو من ذلك، أو الحث على التعمق أكثر في موضوع بحثه والاستزادة منه.

المصادر والمراجع:

1-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان(د ت).
2-عثمان موافي، منهج النقد التاريخي الاسلامي والمنهج الاوربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1994. 3-رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي-أساسياته النظرية وممارساته العملية، دار الفكر، دمشق، 2000. 4- وليم هنري ولش، مدخل لفلسفة التاريخ، ترجمة: أحمد حمدي محمود، راجعه: محمد بكير خليل، مؤسسة سجل العرب، مصر، 1962.
5-جورج كولنجوود، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، مراجعة: محمد عبد الواحد خلاف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1968.
6-أسد رستم، مصطلح التاريخ، مركز تراث للأبحاث والدراسات، مصر، 2015.
7- عبد الحليم عويس، فلسفة التاريخ، الصحوة للنشر والتوزيع، مصر،2011.
8-محمد ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، لبنان، 1955. 9 - عمر فروخ، كلمة في تعليل التاريخ،ط3، بيروت، 1977
10-أحمد شلبي، كيف تكتب بحثا أو رسالة- دراسة منهجية لكتابة الابحاث واعداد الرسائل، مكتبة النهضة المصرية، ط6، القاهرة،1968.
11- -عبد القادر محمود رضوان، سبع محاضرات حول الأسس العلمية لكتابة البحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.
12- عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، كتابة البحث العلمي، صياغة جديدة، دار الشروق، ط6، طبعة منقحة، 1996.
13-حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، مصر، 1980.
14-محمود محمد الحويري، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001. 15- جميل موسى النجار، دراسات في فلسفة التاريخ النقدية، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2011.
16-حسان حلاق، مقدمة في مناهج البحث التاريخي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.
17-ارنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الاغريق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1904.
18- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، ج2، بيروت،1992.
19-قاسم محمود، المنطق الحديث ومناهج البحث، دار المعارف، مصر، 1967.
20-عثمان موافي، منهج النقد التاريخي الاسلامي والمنهج الأوربي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1976.
21-لانجلو وسينيبوس، النقد التاريخي(المدخل الى الدراسات التاريخية)، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات،ط4، الكويت،1981.
22- عاصم الدسوقي، المنهج في التاريخ: قضايا المنهج والاشكالات، مكتبة الدسوقي، مصر،1986.
23-فرانز روزنتال، مناهج البحث عند العلماء المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلى، مكتبة المثنى، بغداد، 1963. 24- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية، بيروت، 1984.
25-فتحية عبد الفتاح النبراوي، علم التاريخ- دراسة في مناهج البحث، دار الافاق العربية، ط2، القاهرة، 1996
26-ليلى الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي، مكتبة الابحاث التاريخية، دمشق، 1419-1420هـ . 27-عقيل حسين عقيل، مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.
28-عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، ط3، الكويت، 1977.
29-عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، دار الطباعة الحديثة، ط3، القاهرة، 1975.
30-أحمد القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا،ج13، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922.
31- شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ج3، بيروت، 1987.
32- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر، 1983.

33- عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات العربية المتحدة،2000.